

## إشكالية التقدم في الفكر العربي المعاصر

(مقاربة فلسفية بين الواقع والمأمول)

## The Problem of Progress in Contemporary Arabic Thought

(A Philosophical Approach between Reality and Hope)

د/ نعمة محمد محمود عبد القادر

أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

البريد الإلكتروني: Neima.abdelkader127@gmail.com

## ملخص البحث

النهضة والتطور والتقدم مصطلحات ثلاثة قد تختلف معانيها اللغوية والاصطلاحية، ولكنها تهدف إلى غاية واحدة . ومصطلح التقدم مستحدث في الفكر الإسلامي، فقد لا نجد له مفاهيم جديدة تختلف عن معاني التمدن والتحضر والرقى بقدر ما نلمح دلالاته وغاياته ، وقد يتفق مع مفهوم التقدم في الفكر الغربي من حيث إنه حركة مستمرة ومتواصلة نحو العلم والمعرفة؛ ومن ثم السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لصالح خدمة الإنسان، وتحقيق سعادته.

ولكنه يختلف في جوهره من حيث إنه لدى الغربي يهدف إلى أن يستبدل بالفردوس الديني الأخرى فردوساً دنيوياً؛ وبالتالي رفض الميثافيزيقا وكل ما هو غيبي، وهذا منافٍ للإسلام. ويشهد الفكر العربي والإسلامي اليوم نهضة واسعة وحراكاً فلسفياً وفكرياً وثقافياً، ومشروعات فكرية يساهم فيها مفكرون من المشرق والمغرب الإسلامي، وترتكز إلى مفاهيم الإصلاح والتجديد والتطوير، تتفق جميعها في الأهداف وإن اختلفت المناهج، فهي تحاول أن تطرح حلولاً ترتقي بالواقع وتحاول استشراق مستقبل تستدعي فيه تقدماً روحياً وعقلياً.

ويتناول هذا البحث الإشكالية التالية: إلى أي مدى تحقق التقدم في الفكر العربي المعاصر من خلال الدراسات التي يصعب حصرها، وما مدى تحققه في الواقع، وهل هذا هو المأمول حقاً؟

## كلمات مفتاحية:

التقدم - النهضة - الاستخلاف - الفلسفة اليوم - العقلانية

**Abstract**

Renaissance, development, and progress are three terms whose linguistic and terminological meanings may differ, but they aim for one goal. The term progress is new in Islamic thought. We may not find new concepts for it that differs from the meanings of civilization and sophistication as much as we glimpse its connotations and goals. It may agree with the concept of progress in Western thought in that it is a continuous and continuous movement towards science and knowledge. Then, controlling nature and harnessing it to serve man and achieve his happiness.

But it differs in its essence in that for the Westerner it aims to replace the afterlife religious paradise with an earthly paradise. Thus, he rejected metaphysics and everything that is unseen, and this is contrary to Islam.

Today, Arab and Islamic thought is witnessing a broad renaissance, a philosophical, intellectual and cultural movement, and intellectual projects in which thinkers from the East and the Islamic West contribute, and are based on the concepts of reform, renewal and development, all of which agree in goals, even if the approaches differ. They attempt to offer solutions that elevate reality and attempt to anticipate a future in which they call for progress. Spiritually and mentally.

This research addresses the following problem: To what extent has progress been achieved in contemporary Islamic thought through studies that are difficult to quantify, and to what extent has it been achieved in reality, and is this really what is hoped for?

The research raises some of the following questions:

What is the concept of progress and its connotations in light of the linguistic and terminological concept?

Is the problem of progress real or a false ideology?

**Keywords**

Progress - Renaissance - Succession - Philosophy Today –Rationalism.

## مقدمة

ما من قضية شغلت الفكر الإنساني بعامة والفلسفي بخاصة العربي والغربي على السواء مثل فكرة التقدم، شغل بها الغرب فكانت سبباً لنهضته وتطوره بدءاً من عصور الظلام إلى عصري النهضة والتتوير، وذلك بعد أن أفاق من صدمته الحضارية بفعل حضارة المسلمين، وشغل بها أيضاً العرب والمسلمون الذين فقدوا حضارتهم ومضوا يجاهدون لاستعادتها، وذلك بعد أن أفاقوا هم أيضاً من صدمتهم الحضارية. بيد أن الصدمة الحضارية هي الباعث الأول لهذه الفكرة.

وعلى مستوى الفكر العربي والإسلامي قد لا نجد تنظيراً لمفهوم التقدم، بخلاف الفكر الغربي الذي جعل من فكرة التقدم أسطورة قوية ونظرية فلسفية. كما لا نجد لهذا المفهوم مفاهيم تختلف عن معاني التمدن والتحضر والرقي، بقدر ما نلمح غاياته ودلالاته، وقد ارتبط مفهوم التقدم في الدراسات الحديثة بمعان كثيرة مثل النهضة والتطور والإصلاح والتجديد.

فالنهضة والتطور مثلاً والتقدم مصطلحات ثلاثة قد تختلف في معانيها اللغوية والاصطلاحية، ولكنها جميعاً تهدف إلى غاية واحدة؛ فالنهضة هي بث وبعث الروح الفكرية، وهي الثورة على الانحطاط والركود الفكري، وهي دفعة الفكر من الماضي مروراً بالحاضر إلى المستقبل.

أما مفهوم التطور والذي أصبح مذهباً علمياً في العصور الأخيرة فهو على مستوى الفكر يمثل تعديلاً أو تحولاً فكرياً ينتقل بالمجتمع من حال إلى حال، وإذا كان مصطلحاً النهضة والتطور بمثابة مقدمتين فالتقدم نتيجتهما؛ حيث استمرارية حركة المجتمع إلى الأمام وفق مفاهيم التمدن والتحضر والرقي، وهذا هو مفهوم التقدم في الفكر الغربي من حيث إنه حركة مستمرة ومتواصلة نحو العلم والمعرفة؛ ومن ثم السيطرة على الطبيعة وتسخيرها لصالح الإنسان، وتحقيق سعادته. ولكنه يختلف في جوهره عن المفهوم الإسلامي، فالتقدم لدى الفكر الغربي يهدف إلى أن يستبدل بالفردوس الديني الأخرى فردوساً دنيوياً، وبالتالي رفض الميتافيزيقا وكل ما هو غيبي، فقد اعتبر كوندورسييه مثلاً (١٧٤٣ - ١٧٩٤) أن النماذج الميتافيزيقية خرافية وممثلة لطفولة الإنسانية، بينما يحمل الدين الإسلامي بين طياته مفهوم التقدم من خلال نظرية الاستخلاف التي ربطت سعادة المرء الأخروية بالسعادة الدنيوية.

ولا خلاف حول أن مسيرة التقدم لا تحدث في صورة طفرة مفاجئة أو قفزة واسعة، ولكنها تسير ببطء أو تعتمد على تراكم الإنجازات؛ وإذا ما انتقلنا إلى الفلسفة فالعالم الغربي اليوم تشوبه رؤية تشاؤمية تجاه إنجازات الفلسفة، ورغم ذلك فالنهضة العربية الفكرية التي بدأت منذ نهاية القرن التاسع عشر لا زالت مستمرة تسير نحو أهدافها، وإن كانت بدأت تتسارع شيئاً فشيئاً؛ فالفكر العربي والإسلامي اليوم يشهد نهضة واسعة وحراكاً فلسفياً وثقافياً، ومشروعات فكرية يسهم فيها مفكرون من المشرق والمغرب الإسلامي، وترتكز إلى مفاهيم الإصلاح والتجديد والتطوير، وهي

تتفق جميعها في الأهداف وإن اختلفت الوسائل والمناهج، فهي تحاول أن تطرح حلولاً ترتقي بالواقع وتحاول أن تستشرف مستقبلاً تستدعي منه تقدماً روحياً وعقلياً، ولا أبالغ إن قلت إن في تكامل واتصال هذه التناولات المتعددة اقتراباً من الهدف التقدمي المنشود.

**لم هذا البحث؟** وهل يمكن الزعم أنه يضع حلولاً لهذه الإشكالية، لقد ذهب فهمي جدعان في مؤلفه: (أسس التقدم عند مفكري الإسلام)- والذي كان من أوائل الدراسات العربية التي تناولت مصطلح التقدم- حين وجه له نقد بأن مؤلفه هذا لم يقدم حلاً لمشكلة التقدم في العالم العربي، اعترف بأن هذا ليس هدفه وإنما هدفه الإسهام في بناء الوعي العربي، لقد كان محقاً وقتها فيما ذهب إليه، ولكن اليوم وبعد مرور أكثر من خمسة عقود على صدور طبعته الأولى أصبحت مهمة المفكر وأهم مسئوليات الفيلسوف اليوم أصبحت أكثر من مجرد إيقاظ الوعي بالمشكلات في المجتمع.

#### أهمية البحث:

لا شك أن مفهوم التقدم اليوم يتضمن مطالب كثيرة على مستوى الأفراد والمجتمعات؛ فهو مطلب نفسي وعقلي واجتماعي واقتصادي، وما من قضية تثير اهتمام المفكرين بل والعامّة مثل قضية التقدم التي تمثل غاية في ذاتها؛ لذا أحاول من خلال هذا البحث أن أرصد مكان ومكانة هذه القضية في الفكر العربي المعاصر، وأهم ملامستها وتداعياتها على الواقع والمستقبل، وعلى الفرد والمجتمع.

#### إشكالية البحث:

يتناول هذا البحث الإشكالية التالية:

ما مدى عناية المفكرين والفلاسفة العرب بمفهوم التقدم- بصفة عامة- والفلسفي- بصفة خاصة- من خلال تناولاتهم ودراساتهم التي لا يسهل حصرها، وهل يمكن القول إنه قد تحقق هذا المفهوم بالفعل من خلال رؤاهم المتعددة في الواقع، وهل هذا هو المأمول حقاً؟

#### تساؤلات البحث:

يثير البحث التساؤلات التالية:

- ١- ما مفهوم التقدم ودلالاته في ضوء المفهوم اللغوي والاصطلاحي الفلسفي؟
- ٢- كيف قدم فلاسفة الإسلام تصوراً لمفاهيم التقدم، وهل اتسقت رؤيتهم الاصطلاحية مع الدلالة المعاصرة لهذا المفهوم؟
- ٣- هل إشكالية التقدم حقيقية أم أيديولوجيا زائفة؟
- ٤- ما حقيقة التقدم عند الفلاسفة المسلمين في ضوء أزمة التقدم في الفكر الغربي المعاصر؟

٥- هل التقدم هو التقدم العلمي فقط؟

٦- إلى أي مدى تسهم الفلسفة في التقدم الثقافي والاجتماعي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها سوف أستخدم هنا المنهجين التحليلي والنقدي.

ويتكون هذا البحث من العناصر التالية:

- تمهيد.
- التقدم ... المفهوم والدلالة.
- إشكالية التقدم هل هي حقيقية أم أيديولوجيا زائفة؟
- الاستخلاف... نظرية كونية في التقدم.
- تصور التقدم عند فلاسفة الإسلام.
- أزمة التقدم الفلسفي في الفكر الغربي.
- الفلسفة والتقدم (الواقع).
- دور الفلسفة في التقدم الثقافي والاجتماعي (المأمول).
- نتائج البحث.

## تمهيد

لا شك أن نظرية التقدم قد بددت حين ظهورها ظلام النزعة التشاؤمية التي رانت على العقل الغربي في العصور الوسطى وفاقت مثيلتها لدى اليونان، فحولتها إلى عصور ظلام، فظهرت فكرة التقدم تعيد الأمل للإنسان في عالم أكثر ازدهاراً، وتتوقع مستقبلاً مثمراً بعد ما كان الزمان -حسب قول أفلاطون- عدو الإنسان.

لذا وعلى مستوى الفكر الغربي أصبحت فكرة التقدم من أولويات الفيلسوف ومن ضمن مسؤولياته بل وعقيدته، منذ روج لها الأب روجر بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٤) أحد رهبان العصور الوسطى، والذي برغم سلطاته اللاهوتية فإنه ثار على مبادئ الكنيسة وعلى طغيان الفلسفة المدرسية السائدة والتي كانت ترجمة لاتينية مشوهة لفلسفة أرسطو، وقد عبر عن ذلك بقوله: "خير لاتين أن يجهلوا أرسطو من أن يعرفوه عن طريق تلك الترجمات"<sup>(١)</sup>.

بنى بيكون مشروعه الإصلاحى التقدمي على مبدأ الاتصال المتبادل بين كل فروع المعرفة، وفكرة وحدة العلوم، وبشر لأفكار عصر قادم كما نادى بإصلاح التعليم، وإدخال دراسات دنيوية ذات برنامج علمي واسع متحرر<sup>(٢)</sup>، وذلك بعكس اتجاه الكنيسة في هذا الوقت والتي كانت تعادي العلم والعلماء وتعنتق الخرافات.

وما من شك في أن روجر بيكون قد استمد أفكاره التقدمية من خلال اعتماده على المنهج التجريبي الذي تميزت به كتابات وإنجازات المسلمين العلمية، والتي وقف على معرفتها وأفاد منها، وبخاصة كتب ابن سينا (ت: ٤٢٧هـ - ١٠٣٧م) والحسن بن الهيثم (ت: ٤٣٠هـ - ١٠٤٠م)، فعُرف عنه أنه كان أعرف معاصريه بحياة ابن سينا ومصنفاته، ونقل عنه في الطب كما نقل تجارب الحسن بن الهيثم في (المنظر)<sup>(٣)</sup>. ولا شك أن المنهج التجريبي الذي تميزت به العلوم الإسلامية كان يندر وجوده لدى اليونان الذين اعتمدوا على المنطق الصوري وأساليبه الرمزية والشكلية.

ورغم ذلك فإن مفكراً مثل ج. ب. بيوري في مؤلفه (فكرة التقدم) يذهب في تأصيله لأسباب التقدم إلى أن المفكرين نبذوا سداجة العصور الوسطى، واتبعوا اتجاهاً أكثر تحرراً نحو السلطات اللاهوتية، وعندما وضعوا تصوراً جديداً لقيمة الشخصية الإنسانية، رجعوا إلى المفكرين اليونان والرومان للاهتداء بهم، واستحضروا روح العالم القديم لطرد العصور المظلمة، وهكذا

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار المعارف، مصر، د.ت، ص ١٣١.

(٢) ج، ب، بيوري، فكرة التقدم، (ترجمة، أحمد حمدي محمود)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤٦.

(٣) يوسف كرم، مرجع سابق، ص ١٣١.

ترجعوا بعقولهم إلى الوراء، إلى حضارة قديمة جعلوا منها مثلاً لهم بدافع حرارة الولوج بالكشف الجديدة<sup>(١)</sup>.

يجعل بيوري هنا مرجعية التقدم يونانية صرفة، رغم أن الحضارة اليونانية لم تتسم في أي طور من أطوارها المختلفة بأنها عملية، أو أنها كانت تنتهج المنهج التجريبي، وهذا يُعد إجحافاً واضحاً وإنكاراً لدور العرب والمسلمين، كما أننا إذا تتبعنا فكرة التقدم بإيجاز لدى اليونان وحسبما عرضها هو تفصيلاً في مؤلفه المذكور سنجد أنه ليس لها الوجود الكافي في فلسفتهم، فكما سبقت الإشارة غلب على مذاهبهم النزعة التشاؤمية، ولم يؤثر عنهم علوماً غيرت الحياة أو فتحت آفاقاً أمام المستقبل وروجوا بدلاً من ذلك لفكرة التدهور ورفض التغير وبالتالي التقدم، ربما تجاوز هذه النظرة من الرواقية سنيكا (ت: ٦٥ م)، وديمقريطس (٤٦٠ ق.م - ٣٧٠ ق.م) من خلال نظريته الذرية فكلاهما بشر بأفكار وعلوم جديدة<sup>(٢)</sup>.

كيف إذن استلهم مفكرو عصور النهضة والتطوير مبادئ التقدم والتغيير من الروح اليونانية، فقد عرفت هذه العصور بأنها عصور سيادة فلسفة عقلية مادية تجريبية تهتم بالعلوم المختلفة كالفلك والطبيعة والرياضيات والكيمياء، وكيف انبثقت من فلسفة اليونان التي تؤمن بالثبات النسبي ولا تعترف بأي تغيير أو تقدم فلسفة تؤمن بالتغيير وتسعى إلى التجديد والتطوير، وتُعَلِّي من ثقة الإنسان؟

لا شك أن الملهم هنا هو الحضارة العربية وتراثها الذي كان في قمة النضج والازدهار فكرياً وعلمياً، في وقت كانت فيه أوروبا في حالٍ مزريّة من البداوة والتخلف والجهل، وحين همت باليقظة لم تجد مفرّاً من أن تأخذ من التراث العربي الإسلامي الذي كان وحده منارة الفكر العلمي والفلسفي والأدبي في تلك العصور<sup>(٣)</sup>. ولاشك أنه عندما نهضت تلك النهضة الأوربية أخذت تسقط التصورات العربية الإسلامية لتراثها الحضاري، حتى عادت مباشرة إلى ينابيع تراثهم ونصوصه الأصلية<sup>(٤)</sup>.

وربما كان هذا السبب الرئيس لعداء الكنيسة وتزمتها تجاه العلوم وتحريمها وتجريمها في العصور الوسطى؛ وذلك لأنها إسلامية عربية.

(١) ج.ب بيوري، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٣ - ٤٠.

(٣) توفيق الطويل، في تراثنا العربي الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٩٨٥، ص ٢٠٥.

(٤) محمد عمارة، الإسلام والمستقبل، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠، ص ٣٨.

عرف المسلمون الأوائل إذن مفهوم التقدم ولكنه كان لديهم ذا طابع عملي حيث لم يشغلهم التأصيل النظري للكلمة، بعكس الفكر الغربي الذي شغل بصياغة فلسفية ووضع نظرية للتقدم يفسرون بها التاريخ، الذي عدّه اللورد أكتون (١٨٣٤-١٩٠٢) علم التقدم ويجب أن يكتب على أنه تقدم الإنسان، كما يفسرون بها الفعل الإنساني وقيمون من خلالها إنجازات الإنسان في التاريخ؛ فسادت عصر التنوير والقرون التي تلتها.

وقد أصبح للتقدم فيما بعد معانٍ متعددة منها:

١- **معنى تطوري:** وذلك لأن عملية التطور حتمية، جعلت الإنسان على رأس الكائنات الحية؛ لذا أصبح معنى التقدم متضمناً في الطبيعة ذاتها، كما أصبح الإنسان خاضعاً للقانون الطبيعي؛ لذا فمسار أفعاله لا بد أن ينطوي على تطور نحو ما هو أسمى<sup>(١)</sup>.

٢- **معنى فلسفي:** حيث اتخذ مفهوم التقدم طابع نظرية شاملة في فلسفة التاريخ، فهو تقدم نحو حرية الروح بوعيا لذاتها لدى هيغل ( ١٧٧٠ - ١٨٣١)، ونحو المجتمع اللاتقبي لدى ماركس (١٨١٨-١٨٨٣)<sup>(\*)</sup>.

٣- **معنى سياسي:** مكن له المد الاستعماري في القرن التاسع عشر، فحين وصلت الإمبراطورية البريطانية أوج عظمتها أصبح التقدم قضية مسلم بها لدى المؤرخين.

٤- **معنى حضاري:** نتيجة لتقدم العلم ووسائل التكنولوجيا، ومجالات العولمة وبخاصة السياسية، والتي مهدت لتطور الأنظمة السياسية نحو الديمقراطية، وشيوع أفكار السيطرة على قوى الطبيعة وتسخيرها لصالح الإنسان وسيادته.

وليس مجالنا هنا في هذا البحث عرض نظرية التقدم في ذاتها لدى فلاسفة الغرب بقدر ما يهمنا تناول إشكالية هذا المفهوم في الفكر الإسلامي المعاصر بين ما يمثله في الواقع وما يرجى أن يكون دوره في المستقبل.

#### التقدم ... المفهوم والدلالة:

كلمة تقدم ذات أصل لاتيني (Progressus) بمعنى الاستمرار في السير قدماً إلى الأمام في الزمان أو المكان أو الاثنين معاً، وقد أشار إليها أفلاطون في معرض حديثه عن الدولة

(١) أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص ١٨٠ - ١٨١.

(\*) لا شك أن هناك خلطاً بين مفهومي التطور والتقدم، فالتطور تعديل بيولوجي فسيولوجي في الكائنات الحية وفقاً لقانون الانتخاب الطبيعي بينما التقدم إيجاد أنماط جديدة لأسلوب حياة الإنسان تكشف عن اصالته وابتكاره. للمزيد انظر، المرجع نفسه، ص ١٨٠.

المدنية، فأشار إلى أن التطور حركة التقدم كعملية مستمرة تعمل على تحسين حالة الإنسان من حال الطبيعة إلى مستويات أعلى من الثقافة والتنظيم الاقتصادي والبنية السياسية.

وإذا ما تأملنا المشتقات اللغوية(\*) لكلمة تقدم، سنجد أغلبها يوحى بالإقبال على الشيء، والإقدام والشجاعة وسرعة الإنجاز في العمل دون توقف، والسبق وغيرها من معانٍ دالة على الحيوية والتغير والإبداع<sup>(١)</sup>.

وهذه المفاهيم اللغوية تمثل الجوهر الاصطلاحي لمفهوم التقدم، وهي في مجملها مشتقة مما ورد في القرآن الكريم، فقد جاءت مشتقات الكلمة في القرآن من خلال عدة معانٍ منها:

١- بمعانٍ دالة على عاقبة الشرك، وتجاوز الأمر والنهي الإلهيين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا ﴾ [الفرقان: آية ٢٣].

٢- بمعانٍ دالة على ضرورة الإسراع والتبكير بالعمل الصالح، ونتائج ذلك، ومنها قوله عز وجل: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: آية ١١٠].

٣- بمعنى الحتمية والقضاء الإلهي منها قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: آية ٣٤].

٤- بمعنى حرية الفعل الإنساني، ومنها قوله عز وجل: ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر: آية ٣٧].

٥- اتساع وشمول علم الله، وعلمه بما كان وما سيكون، وذلك في قوله تعالى: آية ٢٤].

٦- بمعنى السبق والقيادة، مثل قوله عز وجل عن فرعون: ﴿ يَفْقَهُمْ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: آية ٩٨].

وإذا تأملنا أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) سنجد اتجاهين متناقضين:

**الاتجاه الأول:** ويتضح من خلال أحاديث إن صحت فهي توحى بأن التقدم لن يكون إلا للأسوأ لا نحو ما هو أفضل، وذلك من خلال التقليد العدو الأول للتقدم والاتباع الأعمى، وتلمح من خلالها أيضاً نزعة تشاؤمية -الإسلام بريء منها- توحى بفقدان الأمل في المستقبل، مثل

(\*) مثل: قَدِمَ فلان قُدُماً: تقدم، وقدم قُدُماً: شجُع فهو قُدُوم ومقدام، وقدم القوم قُدُماً وقُدُوماً: سبقهم فصار قدامهم، وقدم على الأمر قُدُوماً: أقبل عليه.

انظر المعجم الوسيط، الصادر عن مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٥، ص ٧١٩، (مادة قدم).

(١) المرجع نفسه، نفس الموضوع.

حديث الفرقة الناحية(\*)، وحديث (خير القرون قرني...)(\*\*)، ففي نظر أصحاب كل دين إن أزهى عصور التاريخ هو نبي ذلك الدين ثم يتخذ التاريخ بعده مساراً إلى إنحدار، ولكن هذا التصور يحمل في طياته أمراً يتعارض مع طبيعة أي دين، ذلك أن الإنسان يحيا بالأمل<sup>(١)</sup>.

أما الاتجاه الثاني: فقد ذكر فيه أحاديث إن صحت تضع أملاً في نهاية المطاف، منها حديث مجدد القرن(\*)، الذي يضع حداً للشعور بالتقهقر المستمر ويفتح مكانة للأمل والرجاء، كما أنه يصلح أن يكون بديلاً للنظرية الشيعية في المهدي المنتظر<sup>(٢)</sup>.

يضاف إليها أحاديث كثيرة تمجد العمل الدنيوي وتحت عليه وتجعله عبادة، منها: (من أمسى كالأمل من عمل يده أمسى مغفوراً له)(\*) (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)(\*\*).

مثل هذه الأحاديث وغيرها تجعل من الصعب تصور انحدار مسيرة التاريخ، وإنه لابد من صعود جديد تتقدم به الإنسانية، ورغم ذلك فالعلماء ضعفوا هذه الأحاديث.

وإذا ما انتقلنا إلى فلاسفة الإسلام نجدهم قد شغلوا بمفهوم مختلف للتقدم (Anteriority) في معرض تناولهم لقضية قدم العالم أو حدوثه، حيث استخدموا التقدم بمعنى كون الشيء موجوداً

(\*) ونصه: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)، وقد روي بألفاظ متعددة، وأفاض الباحثون في نقده.

محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٢٣ هـ . حديث رقم ٦٦٩٥.

(\*\*) ونصه (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قوم يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون).

زين الدين أبي الفرج ابن رجب، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، (تحقيق، شعيب الأرنؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩ م، مجلدان، مج ٢/٤٧٧.

(١) أحمد محمود صبحي، وحملها الإنسان ... مقالات فلسفية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢٥-٢٦.

(\*) ونص الحديث: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها).

أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، (تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت، ٤ أجزاء، كتاب الملاحم، ج ٤/١٠٩، حديث رقم ٤٢٩١.

(٢) فهمي فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨ م، ص ٢٧-٣١.

(\*) قال الألباني في "السلسلة الضعيفة والموضوعة" ١٣٢/٦: "ضعيف"، وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٦/١٣٤/١).

(\*\*) رواه الطبراني في "الأوسط" (٨٩١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٥٣١٥/٣٣٥/٤).

قبل الآخر بحيث لا يوجد الثاني إلا إذا وجد الأول، ويطلق مفهوم التقدم بالاشتراك اللفظي والاشتراك المعنوي على خمسة أشياء:

**الأول:** التقدم بالزمان، وهو كون المتقدم في زمان لا يكون المتأخر فيه، كتقدم موسى على عيسى عليهما السلام، فالتقدم هنا صفة للزمان أولاً وبالذات.

**الثاني:** التقدم بالشرف وهو أن يكون للسابق زيادة كمال عن المسبوق.

**الثالث:** التقدم بالرتبة بأن يكون المتقدم أقرب إلى مبدأ معين، ويسمى أيضاً بالتقدم بالمكان، والترتيب إما عقلي وإما وضعي<sup>(١)</sup>.

**الرابع:** التقدم بالطبع وهو أن يكون المتقدم محتاجاً إليه المتأخر ولا يكون علة تامة له لتقدم الواحد على الاثنين، ويسمى التقدم بالذات.

**الخامس:** التقدم بالعلية بأن يكون المتقدم هو الفاعل المستقل بالتأثير ويسمى علة تامة<sup>(١)</sup>.

ويمكن إرجاع هذه الأقسام إلى قسمين هما: التقدم العقلي والتقدم الزماني، فالتقدم العقلي هو الارتباط المنطقي بين الشئيين والتقدم الزماني هو أن يكون أحد الشئيين أقدم زماناً من الثاني<sup>(٢)</sup>.

لذا فالتقدم عند ابن سينا مثلاً على خمسة أوجه<sup>(٣)</sup>:

**الأول:** التقدم بالزمان: فالأكبر سناً أقدم من الأحدث.

**الثاني:** التقدم بالطبع، وهو الذي لا يرجع بالتكافؤ في لزوم الوجود كحال الواحد من الاثنين، أي إذا كانت الاثنين موجودة فالواحد لا محالة موجود، وليس إذا كان الواحد موجود فالاثنين موجودة.

**الثالث:** التقدم بالمرتبة وهو الذي تنسب إليه أشياء أخرى يتكون بعضها أقرب منه وبعضها أبعد.

<sup>(٤)</sup> الترتيب العقلي كما في الأجناس المترتبة على سبيل التصاعد والأنواع الإضافية المترتبة على سبيل التنازل، فإن كل واحد من هذه الأمور المترتبة واقع في مرتبة يحكم العقل باستحالة وقوعها في غيرها، وأما الوضعي فهو أن يمكن وقوع المتقدم في مرتبة المتأخر، كما في صفوف المسجد مثلاً.

التهانوي، محمد علي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، (تحقيق، علي دحروج وآخرون)، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ١٩٩٦م، مجلدان، مج ١/٤٩٥.

(١) المرجع نفسه، نفس الموضوع.

(٢) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، مجلدان، مج ١/٣٢١.

(٣) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، **الشفاء، المنطق، المدخل، المقولات**، (تحقيق، الأب جورج قنواتي وآخرون)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجعي، قم، إيران، ط ٢، ٢٠١٢، المقال السادسة، ص ٢٦٦-٢٦٨.

الرابع: التقدم بالشرف وهو كما يقال إن أبا بكر متقدم على عمر .

الخامس: التقدم بالعلية فإن المسبب متقدم على السبب، وإن كان لا يوجد أحدهما إلا إذا وجد الآخر.

أما في الفكر العربي الحديث لا نجد استخداماً لمصطلح التقدم بقدر ما نجد مصطلحات مترادفه مثل النهضة والتزقي والتمدن، كذلك استبدله بعض المفكرين العرب المحدثين بكلمات عربية أصيلة اشتقت من القرآن الكريم مثل: التحسين، الفوز، الصلاح، الفلاح وغيرها من مترادفات استخدمها عبد الحميد الزهراوي (١٨٥٥ - ١٩١٦) في مشروعه الإصلاحية<sup>(١)</sup>. وربما كان الزهراوي مصيباً في اختياره لهذه المصطلحات، فليس الإصلاح الحقيقي هو تغيير النظم السياسية والأخذ بنظم الغرب، فهو لا يعني التغيير والاستبدال بل هو الاستبقاء مع التحسين، كما أن الأخذ بالقديم ليس تقليداً في مقابل التجديد الذي هو الأخذ عن الغرب، بل الأخذ عن الغرب هو التقليد<sup>(٢)</sup>.

#### إشكالية التقدم حقيقية أم أيديولوجيا زائفة:

تُعد قضية حقيقة وجود فلسفة عربية وإسلامية على سبيل المثال قضية طال الخلاف والجدال حولها منذ أن بدأت تتردد مصطلحات مثل النهضة والتجديد والإحياء، فقد استغرق البحث فيها قرابة قرنين من الزمان، منذ أن روج المستشرق الفرنسي إرنست رينان (١٨٢٣ - ١٨٩٢) لنظريته العنصرية التي تعلي من شأن الجنس الآري وتعلن تفوقه العلمي والعقلي، وتسلب الجنس السامي القدرة على التفلسف، وقد سبق رينان فيكتور كوزان (١٧٩٢ - ١٨٦٧) في عنصريته، حيث صرح في إحدى محاضراته عن تاريخ الفلسفة بجامعة باريس أن: «كان الدين المسيحي إنسانياً واجتماعياً إلى أقصى الغايات، ومن أراد دليلاً فليظنر ماذا أخرجت المسيحية... أخرجت الحرية الحديثة والحكومات النيابية»<sup>(٣)</sup>، بينما أنتج الدين الإسلامي -في رأيه- انحلالاً موعلاً واستبداداً ليس له مدى، أما أوروبا المسيحية -لا سواها- مهد الحرية، والمسيحية هي التي صانت ذخائر الفنون والآداب والعلوم، وبعثتها بعثاً قوية، بل المسيحية هي أصل الفلسفة الحديثة<sup>(٤)</sup>.

(١) فهمي جدعان، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) طارق البشري، الحوار الإسلامي العلماني، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦، ص ٩.

(٣) مصطفى عبد الرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٥، ص ٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٩.

وقد يكون من المناسب هنا أن أعرض لموقف طه حسين وإن اختلفت دوافعه التغريبية- والذي يذهب فيه إلى أنه ليس هناك عقل أوروبي يمتاز على العقل الشرقي، وإنما هو عقل واحد تختلف عليه الظروف المتباينة المتضادة فتؤثر فيه آثاراً متباينة متضادة، ولكن جوهره واحد ليس فيه تفاوت ولا اختلاف<sup>(١)</sup>.

يمكن القول إذن إن مفهوم التقدم اتخذ طابعاً أيديولوجياً بعد أن قطع الغرب شوطاً طويلاً في إنجازاته وتقدمه الفكري والعلمي، وكأن تحضر هذا الكائن الغربي وإثبات تفوقه ومضيه قدماً في طريق التقدم مرهون أو متوقف على ترسيخ عقيدة لدى الشرقيين بعامة والعرب خاصة بأن عقلم لا يضاهي العقل الغربي، فكأن عقلانية الغرب وتطوره وتقدمه لن يستمر إلا على أنقاض العقلانية العربية وتغذية فكرة التخلف العربي العقلي والعلمي.

لقد طرح جلال أمين في مؤلفه (خرافة التقدم والتخلف) رؤية مختلفة لفكرة التقدم، وذهب إلى أنها من خرافات العصر الحديث (يقصد هنا التقدم بوجه عام)، وينتقد تقديس المستقبل والتسليم الأعمى بفكرة التقدم، ويرجع سببها إلى (عقدة الخواجة) أو لعله يقصد (الصدمة الحضارية)، وتفسيرها أننا إذا اعتقدنا بأن التقدم لا يكون إلا في مضمار القوة والرخاء المادي والكفاءة؛ فإن ذلك يعني أيضاً تقدماً في سائر جوانب الحياة: العلاقات الاجتماعية، والتنظيم السياسي، والمستوى الأخلاقي والجمالي، والرفاهية الإنسانية بكل عناصرها، مادية كانت أو غير مادية، فإذا كان الشخص الذي يحوز القوة والرخاء المادي والكفاءة خواجة أصبنا جميعاً بعقدة الخواجة<sup>(٢)</sup>.

يريد القول إن فكرة التقدم لا تستغرق في عصرنا الحالي كل الجوانب المادية والروحية، بل هي تتضمن مظاهر التقدم المادي فقط، ومع ذلك تخدعنا وبالتالي فهي فكرة زائفة.

لقد قدم ابن خلدون (ت: ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م) تحليلاً نفسياً لأسباب التخلف والتدهور، وهو بذلك سبق المؤرخ المعاصر آرثر هيرمان مؤلف كتاب (فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي)، والذي قرر أن كل نظرية للتقدم تتطوي على نظرية للاضمحلال؛ حيث إن قوانين التاريخ الحتمية يمكن أن ترتد إلى العكس كما تتحرك إلى الأمام<sup>(٣)</sup>. يعزو ابن خلدون ذلك إلى عوامل نفسية تغلب على طبيعة الإنسان نفسه، ويمكن صياغة ذلك في قضيتين:

(١) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٩، ص ٥٨.

(٢) جلال أمين، خرافة التقدم والتخلف، دار الشروق، القاهرة، ٣، ٢٠٠٩، ص ١٥ - ١٦.

(٣) آرثر هيرمان، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، (ترجمة، طلعت الشايب)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٤٧.

**الأولى:** أن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله؛ والسبب في ذلك أن النفس دوماً تعتقد الكمال فيمن غلبها فتتقاد إليه.

**الثانية:** نتيجة للأولى حيث يترتب عليها أن الأمة تصبح تابعة، وقد عبر عن ذلك بأنها صارت في ملك غيرها، وينطبق مفهوم التبعية هنا على التبعية العقلية والثقافية والمادية، ويجعل ابن خلدون هذه التبعية سبباً لسرعة فناء الأمة واندثارها. ويفسر أسباب ذلك نفسياً لما يحصل في النفوس من التكاثر ومن ثم قصر الأمل وضعف التماسك والاعتماد، وبعبارة أخرى الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف، والرئيس إذا غلب على رياسته، وكبح عن غاية عزة تكاسل حتى عن شبع بطنه<sup>(١)</sup>.

### الاستخلاف... نظرية كونية في التقدم:

ربط الفيلسوف الأخلاقي ألبرت اشفيتسر (١٨٧٥-١٩٦٥) بين التقدم الحضاري ونظرية في الكون، حيث ذهب إلى أننا لن نتقدم إلا إذا كنا قادرين على أن نهب العالم والحياة معنى حقيقياً متفانلاً، وإذا ما نظرنا إلى وجودنا على أنه عديم المعنى فلن نحدث أثراً في هذا العالم ولن نحقق أي تقدم روحي أو حضاري دون إدراك هذا المعنى<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن الدين الإسلامي يحمل بين طياته مبادئ ومقومات التقدم ويقدم نظرية كونية للتقدم؛ وذلك من خلال مفاهيم الاستخلاف وعمارة الأرض، والتي وفقاً لها يصبح التقدم ضرورة حتمية وسنة الله في أرضه، حيث يكثر الحرث والنسل وتنمو مظاهر المدنية المختلفة. يحمل مفهوم التقدم هنا أنواعاً من الأمل والديمومة، فهبوط آدم إلى الأرض ليس عقاباً، بل بداية كرامة وليست بداية مهانة كما في المسيحية.

الإسلام إذن بريء من النزعات التشاؤمية التي تسللت خلال بعض الأحاديث الموضوعية، والتي تخالف سنة الله في أرضه، كما أنه بريء من الأفكار الإسكاتولوجية<sup>(\*)</sup> (الأخروية) التي تطفو على سطح المجتمعات من وقت لآخر، ويروج لها أدياء التدين أعداء التقدم، والذين لم يدركوا المعنى الإلهي من عمارة الأرض، وروجوا للترهيب من الدنيا والترغيب في زهدها والاستعداد للموت فقط، وغيرها من المفاهيم التي تقف عائقاً ضد التقدم.

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ١٠٤.

(٢) ألبرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، (ترجمة، عبد الرحمن بدوي)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٤-٥.

(\*) الإسكاتولوجيا Eschatology علم الأمور الأخيرة أو الأخرات هو جزء من اللاهوت العقائدي الذي يتعامل مع الأشياء الأخيرة وهي الموت، السماء والجحيم وأيضاً مع نهاية العالم.

Dagobert, D, Runes, *Dictionary of philosophy*, philosophical library, New York, 16<sup>th</sup> edition, n.d, p 97.

جعل الله الإنسان خليفته في الأرض بموجب قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: آية ٣٠]، وحدد له مهمته للاستخلاف ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: آية ٦١]، وجعل الله عمارة الأرض عبادة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: آية ٥٦].

وقد ذهب الراغب الأصفهاني إلى أن الإنسان من بين الموجودات مخلوق خلقه تصلح للدارين؛ وذلك أن الله تعالى قد أوجد ثلاثة أنواع من الأحياء نوعاً لدار الدنيا وهي الحيوانات، ونوعاً لدار الآخرة وهو الملائكة الأعلى، ونوعاً للدارين وهو الإنسان، فالإنسان واسطة بين جوهرين: وضع وهو الحيوانات، ورفيع وهو الملائكة فجمع فيه قوى العالمين.

ثم يفسر أن الحكمة من جمع القوتين؛ أنه لو خلق كالبهيمة معرى عن العقل لما صلح لعبادة الله تعالى وخلافته، ولو خلق كالملائكة معرى عن الحاجة البدنية لم يصلح لعمارة أرضه كما لم يصلح لذلك الملائكة<sup>(١)</sup>.

وذهب القشيري في (لطائف الإشارات) إلى أن فضل الملائكة لكونهم أكثر عبادة، أما آدم فقد كان أكثر علماً حين علمه الله أسماء المخلوقات على الأرض والتي تجهلها الملائكة فظهرت فضيلته عليهم<sup>(٢)</sup>.

#### تصور فلاسفة الإسلام لمفهوم التقدم:

يمكن تقييم تصور التقدم عند فلاسفة الإسلام من خلال نماذج مختارة في النقاط التالية:

١- يؤخذ على فلاسفة الإسلام بصدد تأثرهم بالفلسفة اليونانية إعراضهم عن السياسة إلى الميتافيزيقا، فكانوا كناقيل التمر إلى هجر، فأعرضوا عما كان ينبغي أن يفيدوا به حضارتهم، واقتبسوا ما كانت حضارتهم في غنى عنه<sup>(٣)</sup>. ففاتهم إثراء هذا الجانب بالدراسات الفلسفية المفصلة.

٢- لا يخلو فكر الفارابي (ت: ٣٩٩هـ - ٩٥٠م) بصدد تصور التقدم من تناقض؛ حيث تمثل التقدم لديه في التبعية لفلاسفة اليونان، وفي تبنيه لنظرية الفيض (على سبيل المثال)، فكان

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٣٧.

(٢) القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات، (تحقيق، إبراهيم بسيوني)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٠، ٣ مجلدات، مج ١/ ٧٧، ٧٨.

(٣) أحمد محمود صبحي، وحملها الإنسان، ص ٢٦٩.

"أول من وضع نظرية الفيض في سياق التطور التاريخي للفلسفة العربية كعلم وكأيدولوجيا"<sup>(١)</sup>. وقد تبعه في ذلك كثيرون وعلى رأسهم ابن سينا (ت: ٤٢٧ هـ - ١٠٣٧ م).

وسوف أتوقف قليلاً هنا عند نظرية الفيض، والتي مثلت التبعية التامة لأشخاص لا لمذاهب، فمن المعروف أنها وصلت إلى العرب عن طريق الخطأ وذلك بسبب نسبة كتاب (ثيولوجيا) الأفلوطيني الأصل إلى أرسطو.

وقد أثير مؤخراً جدالاً أيديولوجياً حول نظرية الفيض حيث صنفت بأنها (تقدمية)؛ وذلك بسببين:

**الأول:** إنها كانت مخالفة للتصور الخرافي في تفسير ظواهر الكون.

**الثاني:** إنها تتطوي على مبدأ الحتمية الذي يرتضيه العلم الحديث<sup>(٢)</sup>.

وقد لاقت نظرية الفيض اعتراضات من قبل الباحثين والمفكرين قديماً وحديثاً، فقد انتقدها أبو البركات البغدادي (ت: ٥٦٠ هـ - ١١٦٥ م) في مؤلفه (المعتبر في الحكمة)، ثم ابن رشد (ت: ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م) في (تهافت التهافت)، واعتبرها أضاعت هيبة الفلاسفة.

ويهمني هنا عرض موقف المعاصرين من نظرية الفيض، فقد ذهب أحمد صبحي (على سبيل المثال) في معرض نقده لمبررات القول إن نظرية الفيض (تقدمية) إلى أن:

أ- نظرية الفيض ترجع إلى أفلوطين وهي تعبر عن حضارة في طور الاحتضار سواء من الناحية التاريخية (بالنسبة للفلسفة اليونانية) أو الفكرية، فإضفاء الحياة والعقل على الكواكب هي رواسب من المذهب الحيوي، النظرية إذن موعلة في الرجعية فهي ليست (تقدمية)، لا من حيث منشؤها ولا من حيث دورها في الحضارة التي انبثقت عنها. وأما بصدد الحضارة الإسلامية التي أقحمت عليها هذه النظرية، والتي بلغ تصور الألوهية فيها أقصى درجات التجريد والتنزيه والنضج؛ فالنضج في التطور الفكري هو الانتقال من المحسوس إلى المجرد، وبالتالي لا يمكن اعتبار نظرية الفيض (تقدمية) إذا قورنت بفكرة الخلق<sup>(٣)</sup>.

(١) عبد الحميد الصالح، "الفيض"، الموسوعة العربية، متاح على الرابط وشوهد يوم (١٩/١١/٢٠٢٢)،

<https://arab.ency.com>

(٢) أحمد محمود صبحي، وحملها الإنسان، ص ٢٥٨.

(٣) أحمد محمود صبحي، وحملها الإنسان، ص ٢٥٩.

ب- أما بصدد القول إنها تقدمية لاشتمالها على مبدأ الحتمية الذي يرتضيه العلم الحديث فهذا مرفوض أيضاً؛ لأن حتمية الفيض ميتافيزيقية، وحتمية الظواهر الطبيعية في العلم الحديث فيزيقية أو علمية<sup>(١)</sup>.

وهكذا ووفقاً لما سبق لا تعد نظرية الفيض (تقدمية) بأي معيار، وبخاصة بمعيار العلم الحديث.

٣- خرج ابن سينا على التقليد والتبعية لفلاسفة اليونان، وأعرض عن طريق المنطقيين أو المشائين وأثر طريق الفيض والاتصال والإشراق؛ فألف (الحكمة المشرقية) المعارضة للمشائية.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن ذلك كان في مرحلة تالية في حياة ابن سينا<sup>(٢)</sup>، بينما ذهب البعض الآخر إلى أن ابن سينا كان يضع في آن واحد فلسفة مشائية لجمهور المشائين، وفلسفة مشرقية للخاصة من تلاميذه المقربين معتبراً أن هذه هي الفلسفة الحقيقية<sup>(٣)</sup>. ويغض النظر عن ثنائية المذهب المشهور والمستور لدى ابن سينا؛ فإن تأليفه في اتجاه مناقض للمشائية يمثل تطوراً وتقدماً في فكره ودراساته الفلسفية.

٤- ثنائية الدين والفلسفة والعلاقة بينهما تمثل (رؤية تقدمية) انطلق منها فلاسفة الإسلام إلى نظرية السعادة والتي تمثل نظرية في التقدم الإنساني المنشود، أو تقدم الإنسان بوصفه إنسان. وبصدد العلاقة بين الدين والفلسفة ذهب الفارابي في (تحصيل السعادة) إلى أن: "الملة محاكية للفلسفة عندهم، وهما مشتملان على موضوعات بأعيانها، وكلاهما تعطي المبادئ القصوى للموجودات، ... وتعطيان الغاية القصوى التي لأجلها كون الإنسان، وهي السعادة القصوى والغاية القصوى"<sup>(٤)</sup>.

وكذلك ذهب ابن سينا إلى أن: "الحكمة استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية، فالحكمة المتعلقة بالأمور التي لنا

(١) المرجع نفسه، ص ٢٦٠.

(٢) أحمد فؤاد الأهواني، كتاب النفس لأرسطوطاليس، (مراجعة الأب جورج قنوتاي)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٣٢.

(٣) زينب الخضير، ابن سينا وتلاميذه اللاتين، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٦٨.  
للمزيد انظر، بالي، ميرفت، الاتجاه الإشراقي في فلسفة ابن سينا، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣١ - ٤٦.

(٤) الفارابي، أبو نصر حامد، تحصيل السعادة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٤٥هـ، ص ٤٠.

أن نعلمها وليس لنا أن نعمل بها تسمى حكمة نظرية، والحكمة المتعلقة بالأمر العملية التي لنا أن نعملها ونعمل بها تسمى حكمة عملية"<sup>(١)</sup>.

ويذهب في موضع آخر إلى أن "الحكمة يستفيد منها الإنسان في تحصيل معرفة بالوجود كله في نفسه، وما ينبغي عمله لتشرف النفس وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود وتستعد للسعادة القصوى"<sup>(٢)</sup>.

يمثل تعريف ابن سينا السابق للحكمة رؤية في التطور المعرفي والارتقاء الفكري للإنسان الذي يتقدم من المحسوس إلى المعقول المجرد، ويعتبر هذه المرحلة هي درجة السعادة القصوى.

وقد عرفها الفارابي بأنها: "أن تصير نفس الإنسان من الكمال في الوجود إلى حيث لا تحتاج في قوامها إلى مادة، وذلك أن تصبح في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام، وفي جملة الجواهر المفارقة"<sup>(٣)</sup>.

قدم فلاسفة الإسلام إذن مفهوماً روحياً وأخلاقياً للتقدم يتمثل في صعود النفس وارتقائها من الأسفل إلى الأعلى اعتماداً على الفضائل، حيث يرتقي من خلالها إلى مراتب الحياة العليا، وقد يصل إلى مرتبة العقل المستفاد وهي نفس مرتبة الأنبياء.

#### أزمة التقدم الفلسفي في الفكر الغربي:

روح المستشرقون لنظرة تغريبية تحت مسمى التحديث، حيث ذهبوا إلى أن نسق الحضارة الغربية ينبغي أن يؤخذ كله سواءً النظم السياسية أو الفكر الفلسفي والفنون والآداب أو أساليب الحياة ومعايير الأخلاق والسلوك، أو يترك كله"<sup>(٤)</sup>.

وبرغم سيادة نظرية التقدم لقرون طويلة حتى مكنت الغرب من إحراز التقدم خلال أوجه النشاط الإنساني والممثلة في العلم والفن والفلسفة والأدب والتكنولوجيا بصفة عامة، فإن الغرب اليوم يعاني من أزمة التقدم.

(١) ابن سينا، أبو علي الحسين، تسع رسائل في الحكمة والطبيعات، مطبعة هندية، مصر، ١٩٠٨، الرسالة الأولى (في الطبيعات)، ص ٢-٣.

(٢) المصدر نفسه، الرسالة الخامسة (في أقسام العلوم العقلية)، (فصل في ماهية الحكمة)، ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) الفارابي، أبو نصر حامد، آراء أهل المدينة الفاضلة، (تحقيق، علي عبد الواحد)، مطبعة الفكرة، ١٩٥٠، ص ٤٢.

الفارابي، أبو نصر حامد، التنبيه على سبيل السعادة، (تحقيق، جعفر آل ياسين)، دار المناهل، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ص ٤٧.

(٤) سليمان عبد الغفار، العرب... والإسلام... والغرب، (تقديم، أحمد يوسف أحمد)، مؤسسة دار الهلال، القاهرة، ٢٠٢٠، ص ٢٠٩.

لقد صرح فردريك شليجل (١٧٧٢-١٨٢٩) أنه في الشرق فقط يمكن أن نبحت عن أسمى درجات الرومانسية، فبالرغم من أن أوربا كانت تبدو في الظاهر أكثر تقدماً من حضارات الشرق المتدهورة؛ فإن تلك الثقافات القديمة حفظت القيم الروحية المفقودة في المجتمع الأوروبي<sup>(١)</sup>.

فيذهب اشبنجلر (ت: ١٩٣٦) في مؤلفه (تدهور الحضارة الغربية) إلى أن الحضارة المادية تعاني من أزمة روحية، ويشن حملة على المدنية التي يصفها بأنها زيفت المفاهيم وبدلت الحقائق، يقول: "في المدنية يمسي التاريخ طبيعة ويغدو الزمان مكاناً والاتجاه امتداداً والعلوم الروحية علوماً طبيعية"<sup>(٢)</sup>. وتابعه معاصره فلتر بنيامين (ت: ١٩٤٠) الذي انتقد فكرة التقدم وكشف عن زيفها وبين تهافتها، وذلك بالنظر إلى المسار التاريخي الذي اتخذه هذا التقدم، وما آل إليه من مآسي إنسانية، وذهب إلى أنه بالرغم من التقدم العلمي والتقني الذي وصلت إليه البشرية؛ فإنها لم تصل بعد إلى التقدم الإنساني الحقيقي، كما ذهب إلى ضرورة التبشير بقيم إنسانية جديدة تتجاوز أشكال الاستغلال والقمع والسيطرة<sup>(٣)</sup>.

ثم جاء جورج أروويل<sup>(\*)</sup> (ت: ١٩٥٠) ينتقد الثقافة الأحادية التقدمية، ويعلن أن اتجاه الحضارة الغربية إلى التقدم إلى الخلف، وذلك يعارض التقدم<sup>(٤)</sup>.

وتابعه ألدوس هكسلي<sup>(\*\*)</sup> (ت: ١٩٦٣) في رواية (عالم جديد شجاع) حيث تنبأ بمقايسة الحرية بالتطور التكنولوجي<sup>(٥)</sup>.

ووفقاً لما سبق فإن السؤال المطروح على مستوى الفكر الغربي هل مقياس التقدم تكنولوجي أم قيمي؟ لا شك أنه تحقق تقدم مادي في مجال التحكم النسبي في الطبيعة من حيث

(١) آرثر هيرمان، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، ص ٨٨.

(٢) أحمد الشيباني، "مقدمة تدهور الحضارة الغربية لأسوالد اشبنجلر"، منشورات دار الحياة، بيروت، د. ت، جزءان، ج ١/ ١٥.

(٣) عبد الكريم نوار، "فالتر بنيامين ونقد فكرة التقدم"، مجلة العلوم الإنسانية، متاح على الرابط وشاهد يوم (١٥/١١/٢٠٢٢)، : <https://www.asjp.cerist.dz>

(\*) كاتب بريطاني وناقد صحفي وروائي.

(٤) جلال أمين، خرافة التقدم والتخلف، ص ٥ - ٦.

(\*\*) كاتب وروائي إنجليزي.

(٥) المرجع نفسه، ص ٦.

تطور أدوات الإنتاج، بينما وقع تأخر أو تدهور على مستوى القيم الإنسانية التي تحقق نقلة نوعية فارقة عن عالم الحيوان<sup>(١)</sup>.

هناك إذن إشكالية تفرض وجودها في قوة تمثل معوقات للتقدم القيمي، أو كيف يحقق الغرب التقدم في ضوء التحديات التالية:

- التسارع في الحركة والتعبير.
- تراجع المبادئ التنويرية لصالح المصالح الذاتية.
- عجز المثالية عن التعامل مع واقع أصبح محكوماً بقوى المادة.
- اضمحلال المثل الأخلاقية والقيم الدينية، واتساع الهوة بينهما وبين الواقع الذي تسعى إلى إصلاحه<sup>(٢)</sup>.

وإذا ما انتقلنا إلى الفلسفة سنجد أنها تعاني من أزمة في الفكر الغربي منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم؛ فقد كشف اشفيتسر عن تحول الفلسفة عن دورها في التقدم الحضاري خلال القرن التاسع عشر، وجعلها مسئولة عن انهيار الحضارة، ؛ وذلك للأسباب التالية:

١- انصراف الفلسفة عن القيام بواجبها؛ فقد كانت هي التي تقود الأفكار، وتهتم بالمسائل الإنسانية، وتُحمل فكر الإنسان المتمدين على إدامة النظر فيها.

٢- كانت الفلسفة تتضمن تفلساً أولاً عن الإنسان والمجتمع والحضارة؛ وقد أنتج ذلك نوعاً من الفلسفة الشعبية الحية تهيم على التفكير العام وتحافظ على الحماسة للحضارة.

٣- كانت الفلسفة عاملاً فعالاً في إنتاج معتقدات عامة عن الحضارة، ثم أصبحت مركزة كل نشاطها بعيداً عن العالم الواقعي.

٤- أصبحت الفلسفة مجرد علم يستخلص النتائج التي وصلت إليها العلوم الطبيعية والتاريخية.

٥- استغرقت في دراسة ماضيها حتى أصبحت الفلسفة عملياً هي تاريخ الفلسفة؛ وغادرتها الروح المبدعة.

٦- أصبحت غريبة عن العالم وعن مشاكل الحياة التي شغلت الناس والفكر كله، وابتعدت عن الحياة الروحية العامة<sup>(٣)</sup>.

وقد أثرت في الفكر المعاصر تساؤلات كثيرة حول الفلسفة والتقدم، من نوعية:

(١) محمد عبد الشفيق عيسى، "حول مقولة التقدم الإنساني"، الشروق، متاح على الرابط وشاهد يوم

(٢٠٢٢/١١/٢٨)، <https://www.shorouknews.com>.

(٢) فهمي جدعان، أسس التقدم، مرجع سابق ص ٥٥١.

(٣) ألبرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ص ١٣-١٧.

- هل هناك تقدم في الفلسفة؟
  - لماذا لا تحتاج الفلسفة إلى مفهوم التقدم؟
  - لماذا لا يوجد تقدم في الفلسفة؟
- وقد انقسم الغربيون حول الإجابة عن هذه الأسئلة إلى فريقين:
- أ- فريق متشائم تجاه ما أحرزته الفلسفة من تقدم وهم الأغلبية، حيث ينكر هؤلاء أن تكون الفلسفة قد حققت أي تقدم يُذكر.
- ب- فريق آخر أكثر تفاؤلاً وهم قليل، ويرون أن الفلسفة والعلم يهدفان إلى صنع نفس النوع من التقدم.
- أما الفريق الأول فيبرر رأيه فيما يلي<sup>(١)</sup>:
- ١- فشلت الفلسفة في الإجابة عن أسئلتها؛ لأن البشر يفتقرون إلى القدرات النفسية المطلوبة لحل المشكلات؛ لذا التقدم الفلسفي أمر مستحيل.
  - ٢- الفلسفة لا تتقدم؛ لأن لا أحد يستطيع إقناع خصمه.
  - ٣- الفلسفة لا تتقدم إلى الأمام مطلقاً؛ فهي كما هي منذ ثلاث آلاف سنة، وما فعله هي أن تكون معاصرة وتعبّر بأفكارنا، أي أن الأفكار تُعرض بلغة حديثة، لكن لا تقدم حقيقي.
  - ٤- لا يرجع المجتمع إلى الفلاسفة لحل مشاكله.
  - ٥- لا توجد نظرية فلسفية صحيحة يجمع عليها أغلبية من الفلاسفة.
- ولا يخفى أن مثل هذه الآراء تنال من مستقبل الفلسفة، وتُصدر القول بعدم جدواها مستقبلاً.

أما الفريق الآخر فنظرته أكثر تفاؤلاً تجاه التقدم الفلسفي، فالفلسفة في رأيه تتطور وتتقدم باستمرار؛ فتوسيع الفلسفة إلى موضوعات وأسئلة هو أمر تقدمي، وليس أدل على ذلك من ظهور فلسفات تطبيقية في مختلف المجالات، مثل فلسفة البيئة، وفلسفة التعدد الثقافي، والفلسفة النسوية، وغيرها. ويرى هؤلاء أيضاً أن الفلسفة استجابت لكل مشاكلها الكبيرة. ويمكن أن

(١) إيريك ديتريتش، "لا يوجد تقدم في الفلسفة"، (ترجمة، راشد بن حسين)، مقال متاح على الرابط، وشوهد

يوم ٢٠٢٢/١١/٧، <http://faculty.ksu.edu.sa>

وكذلك: كريس دالي، "عجز الفلسفة عن التقدم"، معنى، متاح على الرابط وشوهد يوم ٢٠٢٣/٩/٧،

<http://mana.net/philosophia>

And: Daniel Stigar, "Is there Progress in Philosophy", date of visit 30/١١/202٢,

<http://www.jstor.org>

يأتي التقدم الفلسفي - من وجهة نظرهم- عن طريق تطوير أدوات فلسفية جديدة بما في ذلك النظريات والأفكار والمفاهيم والنظريات الجديدة<sup>(١)</sup>.

### الفلسفة والتقدم (الواقع):

تناول الباحثون مفهوم (أزمة) الفكر العربي والإسلامي على مدى عقود طويلة، وقد نتج عن الاعتقاد بحقيقة وجود هذا المفهوم والتسليم به دراسات كثيرة، يقترح بعضها حلولاً، ويُنظر البعض الآخر للإشكالية من أجل الوعي بها، فهل فكرنا اليوم يعاني بالفعل من أزمة؟ أم نجح المفكرون العرب في اجتياز هذه الأزمة واقتراح حلولاً لتجاوزها؟ أم أن هذا المفهوم (أزمة) من المفاهيم الزائفة أيضاً، والتي تهدف إلى تزييف الوعي العربي الإسلامي؟

لا شك أن العقل العربي والإسلامي قد تأثر بطرق مباشرة أو غير مباشرة بحملات النقد التي شنّها المستشرقون ضد الفلسفة العربية، واستهدفته دون العلم، إما بهدف المفاخرة أو الاستعلاء والعنصرية (كما سبقت الإشارة)، واتهامهم للفلاسفة المسلمين بأنهم كانوا مجرد نقلة للتراث اليوناني، والواقع أن هذا الاتهام يشير إلى جانبين مهمين:

**الأول:** أن المستشرقين أنفسهم قد تأثروا في دعاويهم بآراء منتقدي الفلسفة من المسلمين أنفسهم، فقد هوجم العقل الفلسفي هجوماً عنيفاً وواسعاً على يد ابن حزم (ت: ٤٥١هـ - ١٠٦٤م)، والغزالي (ت: ٥٠٥هـ - ١١١م) والشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ - ١٠٥٣م)، وتابعهم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ - ١٣٢٨م) وتلميذه ابن القيم (ت: ٧٥١هـ - ١٣٥٠م)، وغيرهم كثير.

**الثاني:** أنه لو لم تكن للعرب عقلية فلسفية، ما كان ليلفت نظرهم هذا التراث الفلسفي، وما كانوا اهتموا بترجمته وتصنيفه ووضع الشروح عليه، ولولا إدراكهم لقيمتة العلمية والعقلية ما حافظوا عليه رغم تعرضهم للهجوم واتهامهم في دينهم، ولكن هذا التراث اندثر تماماً؛ وما عرفت عنه أوروبا المتقدمة شيئاً.

أريد أن أقول أن العقلية العربية أبدت بميلها إلى التفلسف نزعة إنسانية مجردة عن المذهبية ساهمت بلا شك في التقدم الفلسفي.

يدفعنا ما سبق إلى طرح التساؤلات التالية:

- ما الذي يريده الباحثون اليوم من دراسة الفلسفة ومن فعل التفلسف؟

(1) James Norton, "Why Philosophy needs a concept of progress", date of visit 2/10/2022, <http://onlinelibrary.wiley.com>

وبصيغة أخرى لماذا ندرس الفلسفة؟ تثير الإجابة عن هذا التساؤل الأخير تساؤلات أخرى:

- ١- هل اقتناعاً تاماً بأن الفلسفة هي الحل الأمثل لكل مشكلاتنا الاجتماعية والفكرية، (إيماناً بالفلسفة)؟
  - ٢- أم محاولة من أجل اللحاق بركب الفلسفة الكوني؟ من أجل التأكيد على أن هناك فلسفة عربية، (التواجد وإثبات الحضور)؟
  - ٣- أو بسبب نفسي، وهو محاولة تخطي ما يروج له الغرب من أن العقل العربي عاجز عن التفلسف، (محاولة للتشافي)؟
  - ٤- أو تحقيق وتأكيد لهويتنا، (الفلسفة شخصية الأمة)؟
- يبدو أن الإجابة تستغرق كل ما سبق، فهذا واقع حالنا، وهذا بعض ما نريده من الفلسفة اليوم.

فعندما تحدث ناصيف نصار في (طريق الاستقلال الفلسفي) دعا إلى التنظير لتحقيق الاستقلال للفكر العربي المعاصر بالمعنى القومي، واعتبر أن فعل التفلسف هو الوعي بدور الفعل الفلسفي<sup>(١)</sup>.

كذلك دعا طه عبد الرحمن في (الحوار أفقاً للفكر) إلى ضرورة تأسيس فلسفة عربية تنفك عن تقليد الفلسفة الغربية ومنهجها، فللغرب الحق في الاختلاف الفلسفي<sup>(٢)</sup>.

وقد أشار بعض الباحثين إلى أن هناك موانع تمنع العقل العربي من التفلسف، ولكنني لا أرى أن هناك موانع تمنع من التفلسف؛ فالتفلسف حق إنساني أصيل لا يعترف بالأممية ولا الجنسية، وإنما يمكن القول إن هناك مشكلات أو تحديات تواجه التقدم الفكري والفلسفي العربي ومنها:

- ١- استدعاء العلاقة الجدلية بين الدين والفلسفة من حين لآخر، ورسوخ الموقف السلبي تجاه الفلسفة في العقل الجمعي بالاستعانة بالعقيدة<sup>(\*)</sup>؛ مما يحول دون التقدم الفلسفي.

(١) محمد المصباحي وآخرون، "ناصر علم الاستقلال الفلسفي"، البيان، متاح على الرابط وشوهد يوم (٣/٨/٢٠٢٢)، <https://www.albayan.ae>.

(٢) طه عبد الرحمن، الحوار أفقاً للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص ١١٤.

(\*) نتائج ذلك أن الطلاب اليوم في المرحلة الجامعية لا زالوا يدرسون الفلسفة على استحياء وحرص ديني، كما أنها ليست من ضمن اختياراتهم إلا قليلاً أو نادراً منهم، ولا زالت أسئلتهم يتوارثونها جيل بعد جيل مثل: (هل الفلسفة تؤدي إلى الإلحاد؟)، (هل الإنسان مخيراً أم مسيراً؟).

٢- تقديس التراث وعدم الجرأة على تمحيصه أو نقده، والانبهار به يورث الشعور بتعذر محاكاته حتى، فتسود أفكار مثل التدهور والشعور بالتدني الفكري والعجز عن الإبداع، وبالتالي لن يكون هناك مجالاً للحديث عن التقدم.

وقد تنبه لهذا الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ - ١٨٣٩ م)، حيث ذهب إلى أن الله قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف، فيقول: "ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها من يقل نظيره من أهل العصور المتقدمة"<sup>(١)</sup>.

ولا يعني ذلك تبني الموقف المناهض والرافض للتراث فالفكر العربي الإسلامي كأى فكر يمثل سلسلة مترابطة ووحدة متكاملة خلال مسار التاريخ ولا يفهم إلا في ضوء الأصول، فالوعي بالتراث كما يذهب محمد عمارة يضمن التميز والاستقلال الحضاري<sup>(٢)</sup>.

إن تحقيق التراث تحقيقاً علمياً أمراً ضرورياً لارتقاء الفكر، ولنا في عصر النهضة الأوروبية أسوة حيث سادت النزعة الكلاسيكية، ولكن ينبغي ألا يتطور الأمر إلى حد الوقوف على الماضي وتمجيده فهذا اجترار وليس ابتكاراً، كما أنه من الخطأ الاعراض عن الماضين حين لا نجد حلولاً لمشكلاتنا المعاصرة، فنظرياتهم كانت متعلقة بمشكلات في عصرهم، ولا يفترض فيهم أن يقدموا حلولاً لمشكلاتنا<sup>(٣)</sup>.

٣- **التقليد:** رغم نهى الدين عن التقليد وذمه للقائلين: «بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» [لقمان: آية ٢١]، وهذا ما أخذ على فلاسفة الإسلام (كما سبقت الإشارة)، حيث مالوا إلى التفكير المجرد على طريقة اليونان، وظلوا يدورون في حلقة القضايا الميتافيزيقية والطبيعية التي طرحها اليونان على أنفسهم<sup>(٤)</sup>.

يجب إذن أن نكون على وعي حقيقي بالمشكلات والقضايا التي تواجه مجتمعنا وفكرنا دون تبعية، ومن جديد تدعمنا مقولة من المفيد أن تصبح لنا شعاراً "ضرورة الاستقلال الفكري والفلسفي عن الغرب".

٤- **التغريب:** الذي يهدف في ظاهره إلى تحقيق التقدم، وهو في حقيقته تغييب المجتمع العربي عن أصوله الفكرية ومقوماته الحضارية. وقد مثل هذا الاتجاه في الفكر العربي الحديث أتباع مدرستي (صحيفة المقطم)، و(مجلة المقتطف)، والذين عبروا عن (التغريب الليبرالي)، وتبنوا

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار الكتاب الإسلامي،

القاهرة، د.ت، مجلدان، ج ١/ ٣.

(٢) محمد عمارة، **الإسلام والمستقبل**، ص ٩.

(٣) أحمد محمود صبحي، **وحملها الإنسان**، ص ٢٦٥.

(٤) فهمي جدعان، **أسس التقدم**، ص ٤٤.

المشروع الغربي كبديل للمشروع الإسلامي، من أمثال: سلامة موسى (ت: ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م)، وجورجي زيدان (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) وغيرهما كثير<sup>(١)</sup>.

وقد تابع هذا التيار طه حسين في مرحلة من حياته حيث رأى أن الطريق الوحيد ليكون العرب أقوياء هو الاقتداء بالغرب؛ لأن الغرب متقدم حضارياً. وقد انتقد محمد عزيز الحبابي موقف طه حسين، وذهب إلى أن نظريته تفترض عالمية التفكير الغربي، وعالمية خلفيته الأصولية وهي الفكر اليوناني القديم، وفي هذا الافتراض تغافل عن خلفيات تاريخية للتفكير اليوناني الذي يفرق بين عالم الفكر وعالم القيم، بينما لا توجد هذه التفرقة داخل الأمة العربية<sup>(٢)</sup>.

٥- أسباب نفسية، ذكرها ابن خلدون وقد سبقت الإشارة إليها، وتتمثل هنا في انسحاب النفس وانهزامها أمام الغالب بل وخضوعها له وتقليدها أياه.

٦- الترويج للإسكاتولوجيا، والتشدد الديني، والتعصب المذهبي، هذا الثلاث يقاوم التقدم بشدة.

٧- الزهد وبعض اتجاهات التصوف في أدواره الأولى عبرت عن نزعة تشاؤمية تمثلت في الرغبة في اعتزال أمور الدنيا، والانسحاب من المجتمع.

هذه بعض الأسباب فيما أرى التي قد تقف عائقاً أمام تقدم الدراسات الفلسفية في الفكر الإسلامي المعاصر.

ومن المهم هنا أن أشير إلى رؤية نقدية لبعض المعوقات المزعومة التي تمنع العقل العربي من التفلسف، حسبما عرضها طه عبد الرحمن<sup>(٣)</sup>؛ لأهميتها في إعادة تقييم وبناء الوعي العربي، وهذه التصورات -في رأيه- ليست ذاتية بل هي موانع سائدة في الممارسات الفلسفية، ومنها:

١- التصور الذي يدعي أصحابه أن الفلسفة كونية، وأنها لا يمكن أن تقوم على أساس خصوصية معينة، ولا شك أن الخصوصية لا تعارض الكونية.

٢- التصور الذي يدعي أصحابه أن الفلسفة منهجها العقل الخالص، والأمر ليس كذلك؛ لأن الفلسفة نتاج الإدراكات الإنسانية المختلفة، والفكر الفلسفي ليس فكراً عقلائياً خالصاً.

(١) محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٦٤ - ٦٨.

(٢) محمد عزيز الحبابي، مفاهيم مبهمه في الفكر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ، ص ٥٠، ٥١.

(٣) طه عبد الرحمن، الحوار أفقاً للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص ١١٦ - ١١٧.

٣- التصور الذي يجعل الفلسفة محل تقدير إلى حد تقديس النص الفلسفي المترجم.

وإذا ما تجاوزنا هذه التحديات، وتخطينا هذه الإشكاليات، هل من الممكن وقتها أن تقوم الفلسفة بدورها في تحقيق التقدم الثقافي والاجتماعي؟

**دور الفلسفة في التقدم الثقافي والاجتماعي (المأمول):**

أن نبحث عن حلول لمشكلاتنا لدى الماضين فهذا خطأ جسيم، لاسيما إن كانت جُل اهتماماتهم منصبة على موضوعات ليست مألوفة لعصرنا؛ حيث لم تكن المسائل السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو حتى الفنية جُل اهتماماتهم، وحتى لو كانت فإن لنا عقولاً كما كانت لهم عقول فضلاً عن متغيرات العصر<sup>(١)</sup>.

وبعبارة أخرى يصعب تقليد التراث؛ لأنه لا ينسجم مع غير صانعيه؛ فهو تجارب وآثار ماضية يؤتس بها في حل مشاكل راهنة، ولا يمكن أن تكون هي الحل<sup>(٢)</sup>.

نقطة البدء إذن للانطلاق نحو التقدم أن نضع في اعتبارنا الأمور التالية:

١- ليس التقدم أمراً عرضياً ولكنه ضرورة حتمية بل هو مثل التطور سنة الله في أرضه.

٢- لم يأخذ التطور نحو التقدم في أوروبا صورة طفرة أو قفزة كبرى، بل حدث التطور نحو التقدم تدريجياً ببطء ملحوظ أخذ يتسارع قرناً بعد قرن إلى أن اكتملت المقومات التي أتاحت انطلاقه بمعدلات أسرع<sup>(٣)</sup>.

٣- كان الدين مكنم القوة في الحضارة الإسلامية الذي انطلقت منه كل مظاهر الفكر، وموطن الضعف كان في السياسة سواءً على مستوى الفكر أو العمل، النظر أو التطبيق<sup>(٤)</sup>؛ لذا علينا أن نربط بين الإيمان بفكرة التقدم والعمل على تحقيقها.

٤- معظم الحضارات تحتوي على مفهوم التقدم والتخلف والرقى والانحطاط، ولكن التقدم والرقى مرتبطان بمطلقات كل مجتمع ومقدساته<sup>(٥)</sup>.

(١) أحمد محمود صبحي، وحملها الإنسان، ص ٢٦٨.

(٢) محمد عزيز الحبابي، مفاهيم مبهمه، ص ٢٧.

(٣) وحيد عبد المجيد، "مراحل التقدم في أوروبا"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، متاح على الرابط وشوهد يوم (٢٠٢٢ /٩/١) <https://acpss.ahram.org.eg>.

(٤) أحمد محمود صبحي، وحملها الإنسان، ص ٢٦٨.

(٥) عبد الوهاب المسيري، "قراءة في مفهوم التقدم"، نوافذ، العدد الرابع، ٢٠٠٤، متاح على الرابط وشوهد يوم (٢٠٢٢ /٩/١) <https://fikria.org>.

٥- لا مفر من اقتباس ما يلائمنا من الأنظمة السياسية والاقتصادية لحضارات سبقتنا إن أردنا اللحاق بها، وضرورة التخلي عن (مركزية الذات) بالادعاء بأن ديننا يضع حلولاً جاهزة لكل مشكلات العصر<sup>(١)</sup>.

ولكي يتحقق لنا هذا يجب أن نضع ثقتنا في الخطاب الفلسفي الذي يحمل مفاهيم الانفتاح والتطوير والتقدم الفكري والاجتماعي. لقد أدرك المفكرون في الشرق والغرب أن مهمة الفلسفة أضحت فعالة ومؤثرة في الفرد والمجتمع، ولنقل بعبارة أخرى إنهم إدراكاً منهم للدور المؤثر الذي ستقوم به الفلسفة في المجتمع قاموا بإنزالها من سماء التعقيد والتجريد إلى أرض الواقع، فظهرت مفاهيم جديدة تتناول (العيش بالتفلسف)، و(العلاج والتداوي بالفلسفة)، و(الطمأنينة الفلسفية)، و(الاستشارة الفلسفية)، وقد لاقت هذه الفكرة المثمرة قبولاً لدى هؤلاء المفكرين كثيراً؛ حيث رأوا أن الفلسفة هي العلاج الأمثل للمشكلات السياسية والفكرية والاجتماعية بخاصة، فعقدوا لها المؤتمرات<sup>(\*)</sup>، وتناولتها دراساتهم المختلفة.

أصبحت الفلسفة اليوم متاحة للجميع، وسقطت قضية العنصرية بجدارة، ففعل التفلسف نفسه أصبح يسعى إلى غاية عملية وهي الإصلاح الاجتماعي لا من أجل التفلسف في ذاته.

أصبح إذن اتجاه المفكرين والباحثين في الفلسفة يميل إلى الجمع بين ثنائية النظر والتطبيق، وأصبحت مقولة (ج. ب. بيوري) منهجاً سائداً اليوم، "لا أستطيع أن أتخيل وجود أوهى أهمية نظرية لأي مجموعة من الوقائع إلا إذا عنت شيئاً ما للعقل، وما لم تتمكن من تحديد علاقتها الحيوية بكل ما يجري في الواقع"<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب (علي شريعتي) في معرض كلامه عن مسئولية المثقف إلى أن: "المفكر التقدمي الواعي الذي يعلم ولا يعمل يستوي مع المنحط الجاهل الذي لا يدري ماذا يفعل، والذي يقوم بتحليل كل القضايا الاجتماعية بدقة وبشكل علمي، ثم ينسحب من كل التزام بمسئولية اجتماعية قيمة وجوده مساوية تماماً لوجود ذلك الذي لا يدري أصلاً ما هو المجتمع"<sup>(٣)</sup>.

(١) أحمد محمود صبحي، وحملها الإنسان، ص ٢٦٩.

(\*) على سبيل المثال اختارت الجمعية الفلسفية المصرية لمؤتمرها الدولي السنوي والذي سيعقد في ديسمبر ٢٠٢٢ العنوان التالي: (الاستشارة الفلسفية والعلاج بالفلسفة).

(٢) ج. ب. بيوري، فكرة التقدم، ص ٧.

(٣) علي شريعتي، التشبيح مسؤوليته، (ترجمة، إبراهيم دسوقي شتا)، دار الأمير، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧، ص ٧.

ووفقاً لما سبق تطورت مفاهيم الفلسفة عما سبق فهي<sup>(١)</sup>:

- تمارس كل يوم.
- طريقة في العيش تبتغي السلوك العملي قبل أن يكون مسلكاً نظرياً متشعباً من التحاليل والتراكيب العقلية المجردة والمعقدة.
- العيش بميزان العقل والاقتصاد العاطفي في سياسة الذات.
- الطب الفلسفي وتقويم العقل ورأب التصدع الذاتي.
- المنهج السليم في تقادي الوضع السقيم.
- ليست الفلسفة بناء منظومة مفهومية بل هي طريقة عقلانية في العيش، ونهج عقلائي في التفكير.
- التفلسف فهم روحي وعلاجي يؤدي إلى الوعي بالذات وضبط الذات، هذا الفهم الروحي يوفر إمكانيات مثلى للحوار بين الثقافات وبين الأديان.
- الفيلسوف مستشار الوجود.

لا شك إن الفلسفة اليوم تأصل للقيم الروحية والإنسانية، وهي تعد محاولة لعلاج سلبيات نظرية التقدم التي جعلت من التقدم في العلم نموذجاً للتقدم بشكل عام.

وتتقدم بإعلاء الفرد والمجتمع، وقد أشار (شبنجلر) إلى أن الأمة العربية ذات وجود روحي يكاد يكون مطلقاً في روحانيته<sup>(٢)</sup>، وفقاً لذلك فالفلسفة اليوم بمفاهيمها ومفرداتها وغاياتها، تلائم الأمة العربية التي تعي جيداً مصطلحات مثل: الإحسان، والتكافل، والعمل الصالح؛ والرأفة... إلخ قبل (مارتا نوسبوم) في مؤلفها: (الرأفة والحياة المزدهرة)، والذي بحثت من خلالها عن فلسفة عملية وكاملة للرأفة، فلسفة توجد من أجل البشر وتتكفل بحاجاتهم العميقة، وتواجه حيرتهم العاجلة وتقودهم من البؤس إلى مرحلة عليا من الازدهار، فهي فلسفة تعني وتوحي بالفاعلية واكتمال الحياة<sup>(٣)</sup>.

والواقع أنه لم تختلف الرؤية النقدية للفلسفة اليوم عن الأمس كثيراً؛ فعندما حمل اشفيتسر الفلسفة في القرن التاسع عشر مسؤولية انهيار الحضارة لأنها تخلت من وجهة نظره عن دورها،

(١) جون جرايش، العيش بالتفلسف، (ترجمة، محمد شوقي الزين)، مؤمنون بلا حدود، المغرب، الرباط، ٢٠١٩، ص ١١ - ١٣.

(٢) أحمد الشيباني، "مقدمة تدهور الحضارة الغربية لأسوالد شبنجلر"، ص ٢١.

(٣) جون جرايش، العيش بالتفلسف، ص ٥١.

الذي يتمثل وفق رؤيته في ربط الفلسفة بالواقع والمجتمع والبعد عن التجريد، حدد للفلسفة عدة مهام تحتاجها الفلسفة اليوم:

- ١- واجب الفلسفة أن تعني بالمسائل الباطنة الأصيلة التي يفكر فيها الأفراد والجماعات، وأن تطبق عليها مناهج أشمل وأعمق ثم نعيدها إلى الاستعمال العام.
- ٢- الفكر المجرد لم يفلح في بناء نظرية في الكون ذات طابع أخلاقي، تقوم على أساسه المثل التي تستند إليها الحضارة.
- ٣- أية فلسفة تقاس في النهاية بقدرتها أو عجزها عن أن تتحول إلى فلسفة حياة.
- ٤- المهمة الكبرى للفلسفة أن تكون دليلاً للعقل العام وحارساً<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنه في ضوء مفاهيم الفلسفة اليوم لا يمكن القول أبداً بإمكانية تخلي الإنسان عن العمليات العقلية المجردة والمركبة مثلاً؛ فهو يحتاجها لإدراك نظام العالم ومنطق الطبيعة لاستخلاص مبدأ فاعل<sup>(٢)</sup>.

اختتم هذا البحث بنقطتين هامتين:

**الأولى:** لما كانت الفلسفة تعكس شخصية الأمة فإنه من المناسب اليوم أن نعيد طرح مصطلح الفلسفة العربية كفلسفة قومية روحية، تُستلهم منها مفاهيم وتصورات الفلسفة اليوم، وقد أصبحت مبررات الاعتراض على اصطلاح فلسفة قومية واهية؛ لأنها حتماً ستتجاوز عن كونها قومية لتصبح عالمية؛ وذلك لأن: "اعتماد الفلسفة على العقل يجعل الصفة الإنسانية العالمية تتغلب على الصفة القومية"<sup>(٣)</sup>.

**الثاني:** رغم أن مشروع النهضة الفكرية ساهم فيه كثير من الباحثين في القرن السابق بأفكار لا حصر لها؛ فإنه لم يحقق أهدافه المنشودة والسبب في رأي (طه عبد الرحمن) هو انتقال هذا المشروع إلى إطار نظري قوي، فضلاً عن أسس فكرية ومنهجية ونظرية افتقدها هذا المشروع<sup>(٤)</sup>.

ربما يكون مشروع (طه عبد الرحمن) بتبنيه لرؤية كونية قوامها العقلانية المؤسسة على الأخلاق، ودعم منهج عقلي قوي يمهد الطريق للنهضة، وتبني رؤية كونية قوامها العقلانية المؤسسة على الأخلاق، هو الأمل مما يدعم دور الفلسفة.

(١) ألبرت أشفيتسر، *فلسفة الحضارة*، ص ١٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١.

(٣) فؤاد زكريا، *آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة*، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٩، ص ٢٢٢.

(٤) وائل حلاق، *إصلاح الحداثة الأخلاق والإنسان الجديد في فلسفة طه عبد الرحمن*، (ترجمة: عمرو عثمان)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٢٠، ص ٢١١ - ٢١٢.

نحن بحاجة إذن إلى إعادة النظر في أدواتنا النهضوية، وتقييم مناهجنا الإحيائية، وهذا دور الفلاسفة والمفكرين الاهتمام بما يجب أن يكون عليه الواقع من خلال تحرير الوعي الإنساني وتقدمه، واكتشاف الشخصية الحضارية للأمة والروح الإبداعية.

كما أننا بحاجة إلى تأصيل مفهوم التكامل الفكري العربي، فإسهامات المفكرين العرب غدت كثيرة ومتنوعة من منطلق تقدم الوعي، والواقع أنه لم تستأثر طائفة أو أمة بكل الإنجازات الإنسانية، بل أوتيت جانباً منها، ودليلنا في هذا قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: آية ٢٨٤]

## نتائج البحث

إن لفكرة التقدم أثر نفسي إيجابي؛ فهي تبعث على التفاؤل والأمل وتتاقض التشاؤم وتعد بغير أفضل ومستقبل أكثر ازدهاراً، حتى إن هذا الأثر ينعكس إيجاباً على الباحث الذي يتناولها؛ حيث يجد نفسه واقعاً تحت تأثيرها .

أريد أن أقول إن هذا ما حدث في نفوس الأوربيين في عصري النهضة والتتوير، وربما إذا أمتنا بالفكرة أصبح لها هذا الأثر المثمر في المجتمع ، على أننا ينبغي أن نعي أن نظرية التقدم أظهرت عواراً كبيراً وبدأ الغربي يسلم بسلبياتها؛ حيث انحصرت في التقدم المادي وأهملت الجانب القيمي والأخلاقي؛ ومن ثم أصبح هذا التقدم غير كاف للإنسانية، وهذا ما انتبه له المفكر العربي الذي أعاد تقييمها في ضوء متطلبات العصر .

أما عن أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث فيمكن حصرها فيما يلي:

١- لا نستطيع أن نلمح تعريفاً عربياً اصطلاحياً للتقدم، ولكن اللغة ثرية بمترادفات للمفهوم تعبر عن تنوع مدلوله وغاياته.

٢- تناول فلاسفة الإسلام مفهوم التقدم بمعنيين مختلفين : الأول لغوي منطقي في معرض تناولهم لقضية قدم العالم أو حدوثه، وهم يؤصلون لمفهومي التقدم والتقدم. والثاني تناوله وفق جوهره الذي نعرفه، حيث ترادف لديهم مع معنى الارتقاء والصعود للنفس إلى مراتب السعادة القصوى.

٣- يمكن افتراض زيف نظرية التقدم واعتبارها أيديولوجياً أطلقها العقل الأوروبي لتستقر في وعي ووجدان العقل العربي ؛ ليصبح له الزعامة والسيطرة أبداً ؛ فالغرب يعي جيداً التفوق العربي الكامن الآن وإلا ما كان اهتم بدراسته والعمل على استعمار فكرياً وثقافياً كي يصبح العقل العربي مستهلكاً دائماً لمخرجات التقدم التكنولوجي.

٤- في ضوء أزمة التقدم في الفكر الغربي ، والتي تمثلت في إدراك الغربي مدى خطورة تراجع القيم لحساب التقدم التكنولوجي والتقني نجد أن ما يشغل المفكرين العرب اليوم هو تأصيل عقلانية أخلاقية، ويطرحون ثنائية الروح والمادة.

٥- إن مهام الفلسفة لا تختلف على مر العصور، وأن لها الدور الأول في دفع التقدم الحضاري؛ لأنها الباعث عليه؛ لذلك ينبغي أن نعتمد على الفلسفة ؛ فهي من الممكن أن تقدم لنا حلولاً تساهم في تحقيق الارتقاء والصعود بالفرد والمجتمع، خاصة وقد أصبحت الفلسفة اليوم تمس المشكلات الاجتماعية وتتعامل معها أكثر مما مضى.

## المراجع

## أولاً- المراجع العربية:

- ١- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ١٩٩٨.
- ٢- ابن رجب، زين الدين أبي الفرج، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، (تحقيق، شعيب الأرنؤوط) ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩، مجلدان.
- ٣- ابن سينا، أبو علي الحسين، الشفاء، المنطق، المدخل، المقولات، (تحقيق: الأب جورج قنواتي وآخرون)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران، ط٢، ٢٠١٢.
- ٤- \_\_\_\_\_، تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات، مطبعة هندية، مصر، ١٩٠٨.
- ٥- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت، ٤ أجزاء.
- ٦- اشبنجلر، أسوالد، تدهور الحضارة الغربية، (ترجمة، أحمد الشيباني)، منشورات دار الحياة، بيروت، د. ت، جزءان.
- ٧- أشفيتسر، ألبرت، فلسفة الحضارة، (ترجمة، عبد الرحمن بدوي)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣.
- ٨- أمين، جلال، خرافة التقدم والتخلف، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٩.
- ٩- الأهواني، أحمد فؤاد، كتاب النفس لأرسطوطاليس، (مراجعة الأب جورج قنواتي)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٩.
- ١٠- بالي، ميرفت، الاتجاه الإشراقي في فلسفة ابن سينا، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤.
- ١١- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ١٢- البشري، طارق، الحوار الإسلامي العلماني، دار الشروق ، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦.
- ١٣- بيوري، ج. ب، فكرة التقدم، (ترجمة، أحمد حمدي محمود)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٢.
- ١٤- التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (تحقيق، علي دحروج وآخرون)، مكتبة لبنان ناشرون ،لبنان، ١٩٩٦، مجلدان.
- ١٥- جدعان، فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨.

- ١٦- جرايش، جون، العيش بالفلسف، (ترجمة: محمد شوقي الزين)، مؤمنون بلا حدود، المغرب، الرباط، ٢٠١٩.
- ١٧- الحبابي، محمد عزيز، مفاهيم مبهمة في الفكر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- ١٨- حسين، طه، مستقبل الثقافة في مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٩.
- ١٩- حلاق، وائل، إصلاح الحداثة الأخلاق والإنسان الجديد في فلسفة طه عبد الرحمن، (ترجمة: عمرو عثمان)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٢٠.
- ٢٠- الخضير، زينب، ابن سينا وتلاميذه اللاتين، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨.
- ٢١- دالي، كريس، "عجز الفلسفة عن التقدم"، معنى، متاح على الرابط وشوهد يوم ٧/٩/٢٠٢٣، <http://mana.net/philosophia>
- ٢٢- ديتريتش، إيريك، "لا يوجد تقدم في الفلسفة"، (ترجمة، راشد بن حسين)، مقال متاح على الرابط، وشوهد يوم ٧/٩/٢٠٢٣، <http://faculty.ksu.edu.sa>
- ٢٣- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تفصيل النشاطين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣.
- ٢٤- زكريا، فؤاد، آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩.
- ٢٥- شريعتي، علي، التشبع مسؤوليته، (ترجمة، إبراهيم دسوقي شتا)، دار الأمير، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.
- ٢٦- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، مجلدان.
- ٢٧- الصالح، عبد الحميد، "الفيض"، الموسوعة العربية، متاح على الرابط <https://arab.ency.com>
- ٢٨- صبحي، أحمد محمود، في فلسفة التاريخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.
- ٢٩- \_\_\_\_\_، وحملها الإنسان... مقالات فلسفية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٧.
- ٣٠- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، مجلدان.
- ٣١- الطويل، توفيق، في تراثنا العربي الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٩٨٥.

- ٣٢- عبد الرزاق، مصطفى، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٥٥.
- ٣٣- عبد الرحمن، طه، الحوار أفقاً للفكر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٣.
- ٣٤- عبد الغفار، سليمان، العرب... والإسلام... والغرب، (تقديم، أحمد يوسف أحمد)، مؤسسة دار الهلال، ٢٠٢٠.
- ٣٥- عبد المجيد، وحيد، "مراحل التقدم في أوروبا"، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، متاح على الرابط <https://acpss.ahram.org.eg>.
- ٣٦- عمارة، محمد، الإسلام والمستقبل، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠.
- ٣٧- \_\_\_\_\_، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشروق الأوسط للنشر، القاهرة، ١٩٩٠.
- ٣٨- عيسى، محمد عبد الشفيق، "حول مقولة التقدم الإنساني"، الشروق، متاح على الرابط <https://www.shorouknews.com>.
- ٣٩- الفارابي، أبو نصر حامد، تحصيل السعادة، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٤٥هـ.
- ٤٠- القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات، (تحقيق: إبراهيم بسيوني)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠.
- ٤١- كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، دار المعارف، مصر، د.ت.
- ٤٢- المسيري، عبد الوهاب، "قراءة في مفهوم التقدم"، نوافذ، العدد الرابع، ٢٠٠٤، متاح على الرابط <https://fikria.org>.
- ٤٣- المصباحي، محمد، وآخرون، "ناصيف نصار علم الاستقلال الفلسفي"، البيان، متاح على الرابط <https://www.albayan.ae>.
- ٤٤- نوار، عبد الكريم، "فالتر بنيامين ونقد فكرة التقدم"، مجلة العلوم الإنسانية، متاح على الرابط <https://www.asjp.cerist.dz>.
- ٤٥- هيرمان، آرثر، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي، (ترجمة، طلعت الشايب)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

- 1- Norton, James, "Why Philosophy needs a concept of progress" date of visit 2/10/2023, <http://onlinelibrary.wiley.com>
- 2- Runes, Dagobert, D., *Dictionary of philosophy*, philosophical library, New York, 16<sup>th</sup> Edition, n.d.
- 3- Stigar, Daniel, "*Is there Progress in Philosophy*", date of visit 30/9/2023, <http://www.jstor.org>